من التشابه اللفظي
في
شعر إمرئ القيس
(دلالاته وسياقاته)

دكتور
دخيل الله محمد الصحفي
أستاذ البلاغة والنقد المشارك
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الباحثين قديما وحديثاً : اهتموا بمتشابهات القرآن الكريم فبحثوها حريصين علي تفسير الفروق بين المعاني المتشابهة تفسيرا يعول أساسا علي الارتباط بالسياق وحاجة المقام ولعل من أهم الذين تطرقوا لهذا الموضوع، الخطيب الإسكافي في كتابه (درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز) وأحمد بن الزبير الغرناطي في كتابه (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل) فضلاً عما ألف من كتب علوم القرآن ، التي تناولت جانباً من هذا الموضوع.

وكان جديرا بهم أن يسلكوا هذه الدروب في الشعر ولاسيما عند الشعراء الكبار ، فكثيراً ما وازن الباحثون بين شاعر وآخر في معان أو في صور كلية ، لكنهم لم يخوضوا هذا الجانب عند الشاعر الواحد للموازنة بين متشابهاته وإبراز الفروق بينها ، من النواحي الصوتية والدلالية والبيانية ، فذلك مما يساعد كثيراً علي تجلية خصوصيات ذلك الشاعر ومدي تصرفه في المعني الواحد بحسب السياقات المتعددة . كان هذا هو الدافع إلي التصدي لهذه النوعية النادرة من البحوث والتي لا أعلم أن باحثاً قد خاض فيها من قبل ، ومما ساعدني وحفزني أساساً للسير في دروب هذا البحث كتاب "موائد الحيس في فوائد امرىء القيس " للطوفي البغدادي المتوفي سنة ٧١٦هـ وخاصة الباب الأول منه " في متشابه كلام امرىء القيس بعضه ببعض " لكنه يقتصر علي وضع الأبيات المتشابهة بعضها إلي جانب بعض كقوله:

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل ∴ بسقط اللوي بين الدخول وحومل

وهو شبيه بقوله :

قفا نبك من ذكـــري حبيـب وعرفـان ∴ ورسـم عفـت آيـاته منذ أزمـان

وقوله :

وجـيد كجيـد الرئـم ليس بفاحـش ∴ إذا هـي نصـته ولا بمـعطل

وهو شبيه بقوله:

ليالـي سلمـي إذ تـريك منصبـا ∴ وجيـداً كجيـد الرئم ليـس بمعطـال

وهكذا .. لا يزيد ولا يتدخل إلا نادراً لتفسير معني كلمة ، أو توضيح تشبيه أما إبراز الفروق بين الأبيات المتشابهة فمما لم يتعرض لـه ، وهذا مـا يسعي إليه البحث ، أن يكشف عن الفروق المتعددة بين الأبيات المتشابهة مـع محاولة ربط كل فرق وكل خصوصية بسياقها مع تتبع هذا بحسب الأغراض.

وكنتى قد رأيت أن تقوم خطة البحث علي الزوايا التالية :

اولاً : الفـــروق الصوتيـــة .

ثانياً : الفروق في إطار النظم .

ثالثاً : الفـــروق البيانيـــة .

ثم تبين لـي فـي أثنـاء ممارسـة البحـث صعوبـة الفصـل بيـن الفـروق المعنوية والبيانية لا سيما وأننا أجد هذه إلي جانب تلك في بيت واحد . لهـذا رأيت أن أمزج بين هذين علي أن أربط دائماً بين الناحيـة الصوتيـة ومـا تـدل عليه ، والناحية البيانية والمعنوية ، مع ملاحظـة أن هـذا البحـث درس نمـاذج مـن متشـابهات امـرىء القيـس فـإن أصـاب فذلـك مـن فضـل اللـه وإن خالفـه التوفيق فيكفيه أنه طرق باباً جديداً لم يطرق من قبل ، وهـو فـي الاثنيـن بيـن حال المجتهد إذا أصاب أو أخطأ .

وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه .

د/ دخيل الله محمد الصحفي

قبل الحديث عن المعلقة وما دار بها من موضوعات يجدر بنا أن نتعرف علي شخصية قائلها ، لما في وصف هذه الشخصية من صفات تتفق وموضوعات القصيدة فامرؤ القيس شاعر عرف بالخلاعة والمجون وقد أشارت أكثر المصادر إلي طرد أبيه له لمجونه وفسقه ، بل إنه أمر بقتله ، ولعل ذلك عائد إلي تشبيبه بزوجة أبيه وهي أم الحويرث يقول صاحب الأمالي : " أم الحويرث التي كان يتشبب بها في أشعاره هي أخت الحارث حصين بن ضمضم بن كلب وهي امرأة حجر أبي امرىء القيس ولذلك كان أبوه طرده ونفاه وهم بقتله" .

قال البغدادي (وهذا هو الصواب) فضلاً عن تغزله بابنة عمه فاطمة أيضا ، وكان لها عاشقاً فطلبها زماناً فلم يصل إليها فلما بلغ ذلك أباه دعا مولاً له وقال له اقتل امرأ القيس وأتني بعينيه والمتأمل في معلقة الشاعر يلحظ أن جل القصيدة يدور حول تغزله بأم الحويرث وابنة عمه فاطمة إضافة إلي غيرهن من الصويحبات حيث بلغ عدد الأبيات في ذكر الصويحبات ثلاثة وثلاثين بيتاً وكأنه بإطالة التشبيب في زوجة أبيه وابنة عمه أراد أن يزيد من غيظ أبيه عليه ويحرجه أمام قومه خاصة وأن امرأ القيس كان يعي وضع أبيه المضطرب بين عشيرته وأنه لم يعد في تلك المنزلة التي كان عليها من قبل في نفوس قومه ولذلك كان فيما يفعله ابنه نكاية شديدة تحط من منزلته عند قومه .

وعد الآن إلي المعلقة وتأمل موضوعاتها تجد أن القصيدة بدأت بالوقوف علي الأطلال من خلال ثمانية أبيات بدأها بقوله :

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل ∴ بسقط اللوي بين الدخول وحومل

إلي قوله:

ففاضت دموع العين مني صبابة ∴ علي النحر حتي بل دمعي محملي

وقد دخل الشاعر من خلال حديثه عن الأطلال إلي الحديث عن الصاحبة التي ارتحلت عن الديار ومن ثم إلي الحديث عن صويحباته بشكل

عام وقد كان منهجه في الحديث عنهن يتصف بالدقة والتفصيل بصورة لا يلمح لها مثيل في حديثه عن باقي أغراض القصيدة ، حتي إن وصفه للفرس والصيد وهما من أكثر ما برع فيه امرؤ القيس قد جاءا من حيث الاهتمام في مرتبة تالية بعد حديثه عن الصويحبات ووصفهن ، وقد ألحق هذا بحديث عن الهم أخذ حيزا ضيقاً بين أبيات القصيدة وقد جاء حديثه ذلك بعد حديثه عن الصويحبات وقبل وصفه للفرس والصيد وكأن حديثه عن الفرس والصيد جاء كالتسرية لذلك الهم الذي ألم به بل أستطيع القول بأن هذا هو ما دفع امرأ القيس إلي محاولة الهروب منه إلي مجونه مرة أو إلي وصف الفرس والصيد مرة أخري ولكن هذا الهم لا ينفك عنه لذلك نجده يظهره بقوة برغم عرض الشاعر له في أبيات لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ، وكأن الشاعر يتحدي من حوله وخاصة أباه بازدياد انغماسه في المجون واللهو وكأنه لا يلقي بالاً لمن حوله ولعله ينظر في ذلك بعيني ابن الملك الذي يجوز لنفسه ما لا يجوز لغيره وهو مع ذلك يشعر بالغبن لأنه لم يحظ بالمكانة اللائقة به كابن ملك ، وقد يكون حديثه في آخر القصيدة عن ذكر البرق والمطر والسيل رمزا عن رغبته في تغير الأوضاع وتصحيح الصورة التي يراها مختلة فذكر السيل يشير إلي تغير أحوال الديار وكأن الشاعر يشير بهذا إلي إحساسه بالظلم العميق الذي يعانيه في مجتمعه ورغبته في تغير وتبدد هذه الأحوال وفي ذكر البرق إشارة إلي إحساسه باقتراب وقوع الأمر يؤذن بتغير حاله ، وقد يكون في هذا إشارة إلي وضع أبيه المضطرب بين أبناء عشيرته كما سلف، كما أن في ذكر المطر إشارة إلي حياة جديدة.

تلمحها في الودق النابت علي أطراف الجبل الذي شبهه الشاعر بالشيخ الضعيف وكأنه يشير بذلك إلي أبيه.

وقد ناسبت الخاتمة المقدمة حيث ذكر في المقدمة حديثا عن الديار المهجورة والصاحبة المرتحلة وقري منخفضة تكثر فيها الرمال وفي ذلك ما يدل علي اندثار الحياة وموتها ، وهذا يرسم صورة الحياة القاسية التي كان

يعيشها ، ولذلك قابلها بصورة المطر والسيول والأراضي المعشبة التي تجددت فيها الحياة من بعد موت وكأنه يتمني تبدل حاله مما هو عليه إلي ما وصفه في نهاية القصيدة ، كما أن في ذكر الأماكن العالية والجبال الصلدة إشارة إلي الشرف والمكانة العالية التى يري الشاعر أنه حقيق بها .

وأول ما نجد من مشتابه امرىء القيس قوله في المعلقة :

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل ∴ بسقط اللوي بين الدخول وحومل

وهو شبيه بقوله في قصيدته النونية :

قفا نبك من ذكري حبيب وعرفان ∴ ورسم عفت آياته منذ أزمان

وإذا كان الشاعر قد أفرط في المعلقة فأكثر من ذكر الصبوة والمجون والخلاعة والصيد ووصف الفرس مما ذكرناه سابقاً بصورة مفصلة فإننا نجد روح الأسي والحسرة وضياع الأمل واليأس الذي ألجم إحساسه بالتحدي واضحاً جلياً في نونيته التي لم تتجاوز أبياتها السبعة عشر بيتاً بخلاف المعلقة التي تجاوزت الثمانين بيتاً . ومن مظاهر الحزن والأسي التي خالطت إحساس الشاعر في نونيته ما نجده من حديث عن الموت المتمثل في صورة الكفن في قوله :

فإما تريني في رحالة جابر ∴ علي حرج كالقر تخفق أكفاني

وقد ذكر البغدادي هذا البيت بعد قوله : " ولم يزل يسير في العرب يطلب النصر حتي خرج إلي قيصر .. ونظرت إليه ابنة قيصر فعشقته فكان يأتيها وتأتيه ، وفطن الطماح بن قيس الأسدي لهما – وكان حجر قتل أباه – فوشي به إلي الملك . فخرج امرؤ القيس متسرعاً ، فبعث قيصر في طلبه رسولاً ، فأردكه دون أنقرة بيوم ، ومعه حلة مسمومة ، فلبسها في يوم صائف فتناثر لحمه وتفطر جسده . وكان يحمله جابر بن حني التغلبي " وهذا دليل يؤكد أن هذه القصيدة قد قيلت في أخريات حياته ، ولذلك نلحظ تفشي صورة الموت في ثنايا القصيدة ، من خلال حديثه عن تيس الظباء الذي تدلت العقبان عليه من أعالي الجبال ، وحديثه أيضاً عن الجون الذي ختم بذكره

القصيدة ، حيث صوره وقد اقتاتت به النسور والعقبان بعد ما كان بادناً قوياً ، فضلاً عما نستشفه من حديث الشاعر عن ماضيه واهتمامه بالغائب المنقضي أكثر من حديثه عن الحاضر والآتي ، وكأنها لحظات لاسترجاع الذكري الماضية يتصبر بها علي ما هو فيه ، ويعزي نفسه عن الملك الضائع . ويتضح لنا مما تقدم أن الظروف التي أفرزت لنا نونية امرىء القيس مخالفة كل الاختلاف لتلك التي أخرجت لنا معلقته ، وإن وجد ثمة تشابه بين مطلعي القصيدتين إلا أن كل واحدة منهما تسبح في فلك مغاير لفلك الأخري ، وهذا ما تظهره الفروق البيانية والصوتية من خلال النظر في القصيدتين.

وأول ما نلحظه في البيتين من الناحية البيانية براعة الاستهلال أو حسن الابتداء والتي تظهر في المعلقة في شطرها الأول دون الثاني الذي اقتصر فيه الشاعر علي ذكر المواضع بخلاف القصيدة الثانية والتي نلحظ براعة الاستهلال متمثلة في شطري البيت ، ثم إننا نجد بعد ذلك فوارق عروضية (صوتية) تظهر في تفعيلات البيت مع أن كلتا القصيدتين من بحر الطويل ، وأول تلك الفروق التي نلحظها في البيت الأول من المعلقة ما نجده في تفعيلة الحشو فأنها مقبوضة ، وكذلك عروض البيت وضربه .

قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل ∴ بسقط اللوي بين الدخول فحومل

قفانب كمنذ كري حبين ومنزلي ∴ بسقطل لوي بيند دخول فحوملي

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ∴ فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن

قبض ∴ قبض قبض

أما البيت الثاني من قصيدته النونية فقد لوحظ فيه صحة عروضه وضربه وحشوه فلم يحذف من أسبابه شيء بخلاف بيت المعلقة الذي سبق ذكره.

قفا نبك مـن ذكـــري حبيـب وعرفـان ∴ ورسم عفت آيــاته منذ أزمــــان

قفـانب كمنـذ كـري حبيبـن وعرفـاني ∴ ورسمن عفـت ءآيا تهومـن ذأزمـاني

فعولـــن مفاعيلـن فعولـــن مفاعيلـــــن ∴ فعولـــن مفاعيلـــن فعولـــن مفاعيلـن

عروضه سحيح للتصريع وضربه وحشوه صحيح

وهذا الاختلاف الذي لحـق بـالعروض والضـرب والحشو مـن قبض أدي إلي اختلاف الإيقاع بما يخدم المعني ، ففي بيت المعاقة نجد الحذف في تفعيلـة الحشـو الأخـير والحـذف الواقـع فـي العـروض والضـرب مناسـباً لموضوعات القصيدة التـي نلحظ فيهـا تنقل الشـاعر بيـن موضوعـات كثيرة بشيء من التعجل الذي تفرضـه حمـوة الشباب والزهـو بـالمقدرة والإحسـاس بالتحدي ومن علامات ذلك ما يلحظ في تنقله السريع بين أسماء المواضع التي ذكرها حيث مر عليها مرور المستعجل المندفع فضلا عما تشعر بـه " الفاء " التى عطف بها مرتين فى البيت التالي (فتوضح فـالمقراة لـم يعـف رسـمها..) فإذا عدت وتأملت أول بيت من نونيته ، فإنك واجد إيقاعـاً مغايراً تلحظ فيـه الأناة والتمهل الذي تشعر به صحة العروض والضرب والحشو كذلـك صـور ذلك التمهل وتلك الأناة تظهر فيما نجده من امتداد صوتـي يؤديـه حـرف المد في (عرفان) و(أزمان) هذا الامتداد الذي يشعر بجـو التـأني والتمهـل مرتبـط بموضوع القصيدة وسياق دلالاتها التي تظهـر لنـا الشـاعر وهـو متـأمل أكثر منه مندفعاً متعجلاً ، وهذا يناسب حاله وقد أحس بدنـو أجلـه فهـو لذلـك يقـف ويستملي الأشياء بنظرة المودع الذي أوشـك أن يفـارق ، وكأنـه بنظرتـه تلـك وبتأمله يذكره ببعض صـور من حياة خلت يجد فيها عزاء عن آماله الضائعـة. ولذلك تجده في المعلقة كلف بذكر المواضع التي هجرها أصحابها دون إشـارة إلي ما أصاب تلك المواضـع مـن اندثـار وتغير ، وكـأن هـذا الاندثـار وذلـك التغير لا يعني للشاعر شيئاً في حد ذاته ، فالمهم عنده هو من سكن تلك

المواضع ولذلك صلة كما تقدم بحديثه عن صويحباتـه ، أمـا فـي النونيـة فإننـا نجد اهتمامه انصب علي الآثار الباقية من المواضع لا علي المواضع نفسها

وكأنه ينظر فيما تبقي من تلك المواضع إلي ما تبقي منه هو ، وتـأمل ذلك في قوله :

قفـا نبك من ذكـــري حبيـب وعرفان ∴ ورسـم عفـت آيـاته منـذ أزمـان
أتـت حجـج بعدي عليهـا فأصبحـت ∴ كخـط زبور في مصاحف رهبـان

فذكر الرسم منكراً ثم وصف آياته بأنها قد عفت منذ أزمان يشير إلـي ضرورة التدقيق والتحديق لتحديد موضعه وهذا يحتـاج إلـي شـيء مـن التـأني وهو ما يناسب جو القصيدة وتفاعيلها الممتدة في الأبيات ، وسياق البيت التالي له يؤكد هذه الأناة ، فذكر الحجـج منكـرة يـدل علـي تتـابع السـنين علـي ذلـك الرسم حتي أن ما بقي من آثار تلك الأماكن لم يكن صالحاً لأن يشبه بـالزبور ، ولكن بخط الزبور الذي خصه بمصاحف الرهبان التي مضت عليها سـنون طويلة ، كما أنك تجد هذا التأني والتأمل في البيت الثالث حيث يقول :

ذكـرت بهـا الحـي الجميـع فهيجت ∴ عقابيـل سقـم مـن ضمير وأشجان

فذكري هذه الرسوم يحتاج إلي تأمل يأتي بعده ذلك التذكر الـذي هيـج أشجانه ومجيء تهيج المشاعر هو إحساس داخلي لم يأت إلا بعد وقت طويـل من ترديد النظر وتدقيقه ، وكل هذا يناسب طول التأمل وما يستلزمه من تمهل يمكنه من التعرف علي المشبه وكل ما جـاء بعـد هذيـن البيتيـن يؤكـد صـورة الأناة والتمهل التي فرضت نفسها علي جو القصيدة.

ومن متشابه امرىء القيس قوله في المعلقة :

إذا التفتت نحــوي تضـــوع ريحهـــا ∴ نسـيم الصبـا جـاءت بريـا القرنفـل

إذلـــت فتتحـــوي تضــــوو عريحهـــا ∴ نسيمص صباجاءت برييـل قرنفلي

فعـــول مفـــاعيلن فعـــول مفـــاعلن ∴ فعولـــن مفـــاعيلن فعولـــن مفـــاعلن

قبض قبض قبض ∴ قبض

وهو شبيه بقوله فى قصيدته الرائية :

إذا قامتـــا تضـــوع المســـك منهمـــا ∴ نسيم الصبا جـاءت بريـح مـن القطـر

إذا قامتـــا تضـــو وعلمـــس كمنهمـــا ∴ نسيمص صباجاءت بريحن منلقطرى

فعولـــن مفـــاعلن فعولـــن مفـــاعلن ∴ فعولـــن مفـــاعلين فعولـــن مفـــاعلين

قبض قبض ∴

ويظهر للقارئ أن قصيدة الشاعر الرائية تأتى فى الترتيب الزمنى بعد المعلقة بزمن ليس بالقصير ، ودليل ذلك ما تجده فى رائيته من إشارات تدل على أن الشاعر قد قالها فى مرحلة كان يستنصر فيها القبائل لإعانته على الأخذ بثأر أبيه ، وأنت واجد صورة ذلك فى قوله :

لعمـرك مـا إن ضرنـى وسـط حمـير ∴ وأقيالهـــا إلا المخيلـــة والســـكر

وغيـــر الشقـــاء المستبيـــن فليتنـــى ∴ أجـــر لسانـــى يـــوم ذلكـــم مجـــر

فالشاعر يتندم على ما كان منـه حيـال بنـى حمير ، وقد كان يختـال عليهم أيام شبابه ، حيث كان أبوه ملكـا فـى قومـه وقد زاد من خيلانـه ذلك إدمانـه الخمر ، وهو يتأسف على ذلك لما أعقبـه من خذلان القـوم لـه ، ورفضهم إعانته فى أخذ ثاره ، وهذا ما يظهره قوله : " ذليتنى أجر لسانى يوم ذلكم مجر " ، كما أنك تجد فى قوله :

أغـــادى الصبـــوح عنـــد هـــر وفرتنى ∴ وليـدا ، وهـل افنـــى شبابى غير هر

إشارة أخرى إلـى تقدمـه فـى السـن ، ولذلـك لا تجده يكثر مـن ذكر الصويحبات فى هذه الرائية وهذا يوافق ما هو عليه من تقدم السن والانشغال بطلب الثار ، فإذا عدت بالنظر إلى بيت المعلقة الذى سبق ذكره فى قوله " إذا

التفت نحوى تضوع ... " ثم ناظرته ببيت الرائية فى قوله : " إذا قامتا تضوع المسك .... " وجدت فروقا صوتية وبيانيه تظهر بين البيتين ، وتوافق فى كل واحد منهما سياق قصيدته ، وإيضاح ذلك يظهر أول ما يظهر فى الناحية العروضية حيث نجد كثرة القبض فى بيت المعلقة والذى تمثل فى الحشو الأول والثالث من الصدر كما تمثل فى الضرب والعروض ، وأحسب أن هذا يتناسب مع سياق القصيدة الذى سبق أن أشرنا إلى أنه يتوافق وحموة الشباب وصفة العجلة التى كان الشاعر يتصف بها فى شبابه وهذا ما نفتقده فى بيت الرائية حيث لا نجد القبض فيه إلا فى الحشو الثانى مع العروض ، وهذا يتفق مع النظرة المتأملة التى اكتسبها الشاعر من خلال تقدم السن والحاجة إلى إعادة النظر فى كل لحظة فى حياته .

أما من الناحية المعنوية والبيانية فإننا نجد أنه قد أفرد الحديث عن راحدة فى البيت " إذا التفتت نحو .... " وهذا يتسق مع السياق العام الذى يتحدث ابتداء عن فاطمة .

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل . وإن كنت قد أزمعت صرمى فأجملى

وقد عبر عن تحرك رائحتها الطيبة بفعل الماضى " تضوع " ليتفق مع السياق الذى يشيع فيه فعل الماضى وكأنه قصد باستخدام صيغة الماضى ان يقول لابنه عمه فاطمة – التى بدأ تشبيه بها – : إننى وإن كنت مغرما بك ميالا إلى وصالك مع ما ألقى من تمنعك وصدودك فإنى محبب لدى الكثير ممن هن فى مثل جمالك وشرفك ونسبك ، ولذلك وجدناه يسرد قصصه مع صويحباته فى صيغة الماضى متصلة فى إثر بعضها البعض ليقول لابنه عمه ان افضل النساء يملن إليه ويحاطرن من اجل وصاله وهذا ليس فى الحاضر فقط وإنما فى الماضى كذلك .

وهذا يعلل سرده لتلك القصص من خلال الفعل الماضى ، وتأمل دليلا على ما ذكرت فى قوله :

نمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا . فألهيتها عن ذى تمائم مغيل

وما بعده من أبيات فى النسيب . وفى مقابل هذا تجده فى الرائية يستحضر صورة الماضى من خلال الفعل المضارع وكأنه بذلك يريد أن يستعيد صورة الماضى ويعيش بها فى حاضره وانظر صورة ذلك فى قوله :

اغادى الصبوح عند هر وفرتنى ∴ وليدا ، وهل أفنى شبابى غير هر

ومن الناحية الجمالية نجد أن التشبيهين سواء فى وصف جمال الرائحة إلا أن التشبيه الأول " إذا التفتت نحوى تضوع ريحها " أقوى منه فى البيت الثانى لأنك تجد فيه أن وصفه لرائحة موصوفته يظهر أن طيب رائحتها شئ أصيل طيب الرائحة مجتلب وليس بأصيل فلا يصح لها أن توصف به إلا إذا تطيبت بالمسك الذى شبهه الشاعر بالقطر ثم إنك تجد بناء على ذلك ملمحا آخر فالشاعر فى فترة شبابه وتعلقه بالملذات يرى موصوفته زكية الرائحة دون حاجة إلى طيب أو عطر وهذا يناسب حال المحب المتلذذ الذى يرى فى محبوبة كل شئ محببا جميلا لا يحتاج معه إلى غيره وهذا حال من صبا إلى النساء وتعلق بهن بينما تجده فى رائيته ينظر إلى موصوفتيه نظرة الزاهد أو المتأمل الذى عرف حقائق الأشياء حتى أن ما اتصفت به موصوفتاه من جمال الرائحة لم يكن لشئ أصيل فيهما ولكن لطارئ طرأ عليهما وهو المسك ، فإذا زال زالت صفة جمال الرائحة عنهما وهذا يوافق نظر الزاهد فى النساء غير المأخوذ بالميل إليهن والمتخلص من صبوتهن ، ثم إنك تجد فى البيتين ما يعضد ما ذكرنا ويؤيده ففى بيت المعلقة يجعل انتشار الرائحة الزكية متعلق بمجرد الالتفات بينما لا نجد ذلك فى الرائية إلا مع القيام وفى هذا فضل حركة لا تجدها فى البيت الأول الذى يكفى الموصوفة فيه مجرد الالتفات حتى تفوح رائحة طيبه بخلاف البيت الثانى الذى لا يتحقق لموصوفتيه ذلك الأمر إلا من خلال مجموعة حركات تصل بهما إلى القيام ، هذا مع ما نجد من تناسب بين الالتفات وريح الصبا لكون الاثنين يشملهما شئ من صفة التباطؤ والفتور ، ولهذا كان الالتفات بحركته البسيطة أكثر مناسبة من القيام إذا قوبل بصورة ريح الصبا مع ما تجد فى

البيت الأول من فضل عناية حيث جعل تلك الصفة لمرآة واحدة مع أنه يفصل القول فى صويحباته ويبسطه فيهن عبر أبيات تطول ، فإذا عدت إلى الرائية وجدته يجمل القول فى امرأتين فى بيت واحد وكأنه بذلك يعكس صورة نفسه المنصرفة عن ملذات الشباب والتى لا تكاد تذكرها إلا من باب التعزى عما أصاب الشاعر من ذل بعد عز .

❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ومن المتشابة فى شعر امرئ القيس قوله :

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش ∴ إذا هى نصته ولا بمعطل
وجيدن كجيدرئ مليس بفاحشن ∴ إذاه ينصصتهو ولاب معططلى
فعولن مفاعلين فعول مفاعلن ∴ فعول مفاعلين فعول مفاعلن
قبض قبض ∴ قبض قبض قبض

وهو شبيه بقوله :

ليالى سلمى إذ تريك منصبا ∴ وجيدا كجيد الرئم ليس بمعطال
ليال يسلمى إذ تريك منصبن ∴ وجيدن كجيدرئ مليس بمعطالى
فعول مفاعلين فعول مفاعلن ∴ فعولن مفاعيلن فعول مفاعيلن
قبض قبض قبض ∴ قبض

وهذا البيت من قصيدته التى بدأها بقوله :

ألا عم صباحا ايها الطلل البالى ∴ وهل يعمن من كان فى العصر

وقد ذكر العلماء أنها قيلت بعد المعلقة ، ويشير البغدادى فى شرحه لكتاب أبيات مغنى اللبيب إلى ذلك حيث يقول : " وكان امرؤ القيس أطرده أبوه لما صنغ فى الشعر بفاطمة ما صنع ، وكان لها عاشقا ، فطلبها زمانا فلم يصل إليها ، وكان يطلب غرة ، حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان فقال :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فلما بلغ ذلك حجرا أباه ، ودعا مولى له يقال لـه ربيعـه ، فقـال لـه : اقتل امرأ القيس وأتنى بعينيه ، فذبح جؤذرا فأتاه بعينيه، فندم حجر على ذلك، فقال أبيت اللعن إنى لم أقتله ! قال فأتنى به ، فانطلق فإذا هو قد قال شعرا فى رأس جبل وهو قوله :

فـــلا تتركنـــى يـــا ربيـــع لهـــذه ∴ وكنـت أرانـــى قبلهـــا بـــك واثقـــا

فرده إلى أبيه ، فنهاه عن قول الشعر . ثم إنه قال :

ألا عـــم صباحـــا أيهـــا الطـــلل البالـــى

فبلغ ذلك أباه ، فطرده إلى اليمن ، وهناك بلغه مقتل أبيه . هذه روايـة ابن قتيبه " ، وهذا الكلام مذكور بنصه عنده إلا أنه قال فى آخر الكلام " فبلغه مقتل أبيه وهو بدمون " وفى روايـة الأصمعـى للديوان خبر آخـر يشير إلـى فارق زمنى متراخ بين المعلقة وهذه القصيدة ، يقول الأصمعى : "

قال أبو نصر أحمد بن حاتم : أخبرنا الأصمعى أنـه قـال : بينـا امـرؤ القيس قاعد ذات يوم وهو يشرب مع أبيه ، وهو غلام حين احتلم ، وأبوه مـع ندمانه وفتيه من أهل بيته ، إذ مر عليهم الساقى بالكأس ، فقال امرؤ القيس :

اسقيـــا حجـــرا علـــى علاتـــه ∴ مـــن كميـت لونهـا لـون العلـق

فسمعه أبوه فقال للساقى : الطم وجهه ، وأخرجه عنى ، فقـال : إيـاك ان أسمعك تقول شعرا فأقتلك ! وكان حجـر يرفـع نفسـه عـن الشـعر وولـده ، فغبر امرؤ القيس بذلك زمانا ، فكان لا يقول الشعر إلا سرا مخافة من أبيـه . قال فبينا أبوه ذات يوم نائم فى قبته وقـد شـرب حتـى طـابت نفسـه ، إذا انتبـه وامرؤ القيس يشرب من فضل آنيه وهو يقول :

وهـــر تصيـــد قلـــوب الرجـــال ∴ وأفلـــت منهـا ابـن عمـرو حجر

فوثب إليه أبوه ، فجعل يجأ فى عنقه حتـى أدمـى منخريـه ، ثـم طفـق يلطمه ويقول : ألم أنهك عن أن تقول شعرا ، وعن أن تذكرنى فـى شـعرك ! ثم دعا مولى له يقال له ربيعه – وكان حاجبه – فقـال لـه : انطلـق بهـذا إلـى موضع كذا وكذا فاقتله ، فإنى لا أظنه إلا سيشتمنا ، وجئنى بعينيه ، فانطلق

ربيعة ، فاستودعه وعلم أن أباه سيندم على قتله إذا هو صحا من سكره ، فعمد إلى جؤذر كان عنده فذبحه ، وانتزع عينيه فاحتملهما إلى حجر فقال له حجر أقتلته ؟ قال : نعم قال فأين عيناه ؟ قال ها هما هاتان فوقعت الندامة على حجر وهم بقتل ربيعة ، فلما رأى ذلك ربيعة قال : أبيت اللعن ! إنى استودعته ولم أقتله ، قال فاين هو ؟ قال فى موضع كذا وكذا على رأس الجبل ، قال : فائتنى به ، فانطلق ربيعة إلى امرئ القيس فوجده حيث خلفه ، وسمعه وهو يقول – وظن أنه قاتله :

لا تتركنى يا ربيع لهذه ∴ وكنت أرانى قبلها بك واثقا

وإنما نقلت هذا النص بطوله لأبين امتداد الفترة الزمنية الواقعة بين المعلقة وهذه القصيدة ، فقد نهى حجر ابنه عن قول الشعر بعدما سمعه ينشئ بيتا من الشعر بعدما سمعه ينشئ بيتا من الشعر فى غفله من أبيه فنهاه عن قول الشعر وتأمل قول الأصمعى : " فغير امرؤ القيس بذلك زمانا ، فكأن لا يقول الشعر إلا سرا مخافة من أبيه " ثم إن امرأ القيس قال بعد ذلك بزمن قوله الذى أشرنا إليه :

وهر تصيد قلوب الرجال ∴ وأفلت منها ابن عمرو حجر

فأمر أبوه مولى له اسمه ربيعه بقتله ، وفيه قال امرؤ القيس أبياتا منها قوله :

لا تتركنى يا ربيع لهذه ∴ وكنت أرانى قبلها بك واثقا

فامتنع عن الشعر فترة من الزمن ثم قال هذه القصيدة ، ويتضح مما ذكرت طول الفترة الواقعة بين القصيدتين على أن القصيدة الثانية قد قيلت قبل مقتل أبيه ، وبالنظر فى موضوعات هذه القصيدة نجد أن موضوعاتها مشابهة لما جاء فى المعلقة من وصف النساء والحديث عن مغامرات الشاعر فى الوصول إليهن وكذلك وصف الفرس والصيد بصورة مفصلة ، إلا أنك تجد فى سياق حديثة فى هذه القصية ما يدل على أن حديثه عن النساء ووصف مغامراته معهن لم يكن حديثا موجها إلى امراة بعينها وإن كان ذكر اسم سلمى فى سياق الأبيات مما تستدعيه الذكريات التى كان الشاعر يحدث بها

نفسه وقد جاء ذلك فى شئ من التأسى والشجن الذى لا يلحظ مثله فى المعلقة، بل إننا نستطيع القول بأن قصيدته هذه بنيت على ما أصابه من هم وحزن تمكن منه بعد طرده للمرة الثانية وقد سبقت الإشارة إلى ما يشعر به الشاعر من خلال المعلقة من إحساس بالإنتقاص والغبن الذى لحق له فى مجتمعه مع أنه يرى نفسه مستحقا لمكانة الشرف والتقدير ، فكيف يكون الحال وقد طرد للمرة الثانية وهدد بالقتل أيضا ، وأنت إذا تأملت قوله :-

الا عم صباحا ايها الطلل البالى ∴ وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
وهل يعمن إلا سعيد مخلد ∴ قليل الهموم ما يبيت بأوجال
وهل يعمن من كان أحدث عهده ∴ ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال
ديار لسلمى عافيات بذى خال ∴ ألح عليها كل أسحم هطال
وتحسب سلمى لا تزال ترى طلا ∴ من الوحش أو بيضا بميثاء محلال

وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا ∴ بوادى الخزامى أو على رس أوعال
ليالى سلمى إذ تريك منصبا ∴ وجيدا كجيد الرئم ليس بمعطال
ألا زعمت بسباسة اليوم أننى ∴ كبرت وألا يحسن اللهو امثالى

تجدت صورة ما أشرنا إليه ماثلة فى قوله : " وهل يعمن من كان فى العصر الخالى " وقوله : " وهل يعمن إلا سعيد مخلد " وقوله : " قليل الهموم ما يبيت بأوجال " وقوله : " وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا " وكذلك فى قوله: " ليالى سلمى " وقد لابس إحساسة بالهم والغبن سائر أبيات القصيدة حتى فى نهايتها حيث يقول :

فلو أن ما أسعى لأدنى معشة ∴ كفانى - ولم أطلب - قليل من المال
ولكنى أسعى لمجد مؤثل ∴ وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه ∴ بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

وهذا يتناسب مع ما نجده فى القافية من مد الصوت قبل حرف الروى . فى حيث نلحظ خلاف ذلك فى المعلقة حيث يحصر الحديث عن الهم فى

موضع مجدد لا تراه يتسلل إلى غيره من أبيات المعلقة وإن كنا نقول بأن تشبيه بالنساء ووصفه للفرس والصيد كان فيه شيئا من الهروب من همومه التى أحاطت به .

وعد الآن وانظر فى البيتين المتشابهين ، تجد أن القبض قد وقع فى بيت المعلقة فى حشوه الثالث وفى الثالث منه وفى العروض أيضا فهو متحقق فى خمسة مواقع من البيت ، وهذا يتفق مع ما سبقت الإشارة إليه من مناسبة كثرة القبض لاندفاع الشاعر وحموة الشباب وتدفق المادة الشعرية أيضا ، فإذا نظرت فى البيت المشابة وجدت القبض فيه قد كثر كذلك حيث وقع فى الحشو الأول من الصدر وفى الثالث كما وقع فى العروض ، فى حشو العجز الثالث فهو متحقق فى أربعة مواضع ، ولا عجب فى ذلك إذا لاحظنا كثرة وقوع القبض فى القصائد الواردة من بحر الطويل مما قيل فى أوليات شباب الشاعر بينما خف القبض فى ذات النوع من القصائد التى قالها فى أخريات حياته .

وبرغم قوة التشابه الحاصل بين البيتين وكثرة القبض الواقع فى كليهما ـ إلا أنك تجد فوارق بينهما تجعل لأحدهما مذاقا مغايرا للبيت الآخر ، وبيان ذلك يظهر للمتأمل أن التشابه قد وقع بين الشطر الأول من بيت المعلقة والشطر الثانى من القصيدة الثانية مع اختلاف يسير فى نهاية الشطرين يظهر فى قوله " ليس بفاحش " وقوله : " ليس بمعطال "

ثم إن المتأمل يجد أن التشبيهين فى البيت واحد ، حيث يشبه جيد المحبوبة بجيد الريم فى الاعتدال لكنهما يختلفان من حيث موقع الصورة التشبيهية ، فالتشبيه فى البيت الأول يقع الجيد فيه معطوفا على ناظره فى البيت السابق :

تصد وتبدى عن أسيل وتتقى ∴ بناظره من وحش وجره مطفل

ومن الواضح أن السياق يحمل كثيرا من محاولات الإثارة والإغراء فى القرب والبعد والكشف والستر " تصد وتبدى " وكانت الوسائل التى اعتمد عليها فى الاغراء إظهار مواطن الجمال كالعين الشبيهة بعين ولد البقرة

الوحشية والجيد الشبيه بجيد الرئم فـى الرشـاقة والاعتـدال والطـول ، وتظهر قيمة هذا القيد " ليس بفاحش إذا هى نصته " إذا لاحظنا أن الريم ممدود الجيد إلى أعلى دائما فهذا القيد يؤدى إلـى تطـابق طرفـى التشـبيه ويشـير مـن جهـة أخرى إلى أنه لا يبدو مفرط الطول مما يؤدى إلـى زوال ذلـك الجمـال ، وإذا كـان الشـاعر فـى البيـت الأول يصـور الجيد مـع النظـرة المثيرة مـن خـلال محاولات الإغراء والحركة المثيرة فإنه فى البيت الثانى يصور الجيد تصويرا هادئا من خلال ابتسامتها التى يفتر فيها الثغر عن أسنان مستوية الهيئة .

ومن الواضح أن سياق الصورة الأولى يدل على تصويرها فى لحظـة حاضرة بخلاف سياق الصورة الثانية الذى يدل على أنـه يصـور مـا تستدعيه الذكريات بدليل تصديره البيت الثانى بقولـه : " ليـالى سـلمى إذ تريـك " وقبـل هذا البيت قوله " وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا " ولا شك أن تصوير اللحظـة الحاضرة يكون أكثر إثارة ومهارة من تصوير اللحظـات الماضيـة وهذا هو السبب فى اكتساء الصورة فى البيت الأول لعناصر تلك الإثارة وخصوصا فى ذلك القيد " إذا هى نصته " لأنه يبعث على الصورة مزيدا من الحركة المثـيرة ولا يوجد مثله فى البيت الثانى وإن كـان قد قـال " إذ تريـك " ممـا يـدل علـى تعمد إبراز الجمال لكنه ليس فى قوة ما يدل عليه قوله " إذا هى نصته " وليس فى قوة قوله قبله " تصد وتبدى " الذى يدل إلى جو الصورة المثير مـن خـلال الحركة الباعثة على الإغراء .

على أنه قوى الصورة بذلك الاحتراس الذى يزيد الصورة جمـالا بمـا فيه من زينه يدل عليها قوله فى البيت الأول " ولا بمعطل " وفى البيت الثـانى " ليس بمعطال " مع أن الاحتراس الثانى يفضلا سابقة من حيث معناه ، وقد ذكر صاحب " اللسان " أن المعطال من النساء الحسناء التى لا تبالى ان تتقلد القلادة لجمالها وتمامها " فى حين يفيد قوله " ولا بمعطل " أنها امرأة ليس

عليها شئ من الحلى وخلا جيدها من القلائد ، وهذه وإن كانت تتشابه فى صفتها مع الأخرى فى قوله " ليس بمعطال " إلا أنها تفترق عنها فى كون الثانية مستغنية عن الزينة بجمال الخلقة أما الأولى فهى وإن كانت غير متزينة إلا انها ليست مستغنية عن الزينة فقد تتزين وقد تترك الزينة .

❁❁❁❁❁❁❁❁

ومن المتشابة فى شعر امرئ القيس قوله :

كأن دماء الهاديات بنحره ∴ عصارة حناء بشيب مرجل

كأنن دماء لها ديات بنحرهى ∴ عصار تحننائن بشيبن مرجلى

فعول مفاعلين فعول مفاعلن ∴ فعول مفاعلين فعولن مفاعلن

قبض قبض قبض ∴ قبض قبض

وهو شبيه لقوله :

كأن دماء الهاديات بنحرة ∴ عصارة حناء بشيب مخضب

كأنن دماء لها ديات بنحرهى ∴ عصار تحننائن بشيبن مخضضى

فعول مفاعلين فعول مفاعلن ∴ فعول مفاعلين فعولن مفاعلن

قبض قبض قبض ∴ قبض قبض

وقوله :

كأن دماء الهاديات بنحرة ∴ عصارة حناء بشيب مفرق

كأنن دماء لها ديات بنحرهى ∴ عصار تحننائن بشيبن مفررقى

فعول مفاعلين فعول مفاعلن ∴ فعول مفاعلين فعولن مفاعلن

قبض قبض قبض ∴ قبض قبض

وبالنظر إلى الأبيات الثلاثة المتشابهة نجد أن التشابة وقع بينها فى معظم البيت عدا قافيته ففى بيت المعلقة اختتم الشاعر البيت بقوله : " مرجل " وفى البائية اختار كلمة " مخضب " بينما آثر فى القافية كلمة " مفرق "

وبالعود إلى سياق كل قصيدة تجد أن هذا الاختلاف قد ناسب سياق البيت فى كل قصيدة من القصائد الثلاث ففى المعلقة نجده يصف مشهد الصيد بقوله .

فعن لنا سرب كان نعاجه ∴ عذارى دوار فى الملاءالمذيل
فأدبرن كالجزع المفصل بينه ∴ بجيد معم فى العشيرة مخول
فألحقنا بالهاديات ودونه ∴ جواحرها فى صرة لم تزيل
فعادى عداء بين ثور ونعجه ∴ دراكا ولم ينضح بماء فيغسل
وظل طهاة اللحم من بين منضج ∴ صفيف شواء أو قدير معجل
ورحنا وراح الطرف ينفض رأسه ∴ متى ما ترق العين فيه تسهل
كأن دماء الهاديات بنحره ∴ عصارة حناء بشيب مرجل

" ونلحظ من مجمل الأبيات أن الصائد وهو امرؤ القيس لا يصف طريدته بصفه تظهر ما يرغبه فى اصطيادها كأن تكون مكتنزة باللحم مثلا ، بل وجدناه يتأنق فى وصفه لقطيع البقر فيشبهه بالجوارى اللواتى يطفن بصنم سماه فى قوله : " عذارى دوار فى الملاء المذيل " ثم بالخرز الذى فصل بين حباته باللؤلؤ فى قوله : " كالجزع المفصل " ثم بجيد الصبى الكريم العم والخال فى قوله : " بجيد معم فى العشيرة مخول " ، وهى صفات لا تدل على واصف محتاج لما يصفه بل على واصف يتأنق ويترفه بما يصف او يصطاد، أضف إلى ذلك ما نجده من وصفه لفرسه،وما يخلعه عليه من صفات الأصالة وحسن الخلقة وتمامها ، وكذلك ما نجده من تشبيهه دماء البقر وقد لطخت نحر الفرس بالحناء واستخدامه لكلمة " الحناء " مما يدل على اهتمامه بهيئة الدم على نحر الفرس وقد صبغ النحر كما تصبغ الحناء الشيب دون اهتمام بالدم أو الفريسة نفسها ، فهو يصوغ صورة الصائد وطريدته فى مجملها بغرض رسم لوحة منعمة تتمثل فيها الجوارى الحسان واللؤلؤ والخزر والحناء وجمال الفرس الأخاذ ، دون نظر للطريدة كضرورة يحتاجها ويعتاش منها " ولذلك وجدنا الشاعر يؤثر استخدام كلمة " مرجل " وهى مأخوذة من

المرجل وهو المشط ، لما توحى به من اهتمام الشاعر بمظهر فرسه دون مصيده وهذا يلائم السياق وصورة الفرس التى أشرنا إليها ويتناسب مع حال الواصف وفى هو ملك وابن ملك .

أما البيت الثانى فقد ورد ضمن قصيدة امرئ القيس البائية ، والتى أشار الصمعى فى روايته بها ، وذكر أن امرءا القيس قد قالها بعد أن " هرب من المنذر بن ماء السماء وسار إلى جبلى طيئ : أجأ وسلمى ، فأجاروه ، فتزوج بها أم جندب – وكان امرؤ القيس مفركا مبغضا – فبينما هو ذات ليلة نائم معها فقالت له : قم يا خير الفتيان فقد أصبحت .... فلما أصبح اتاه علقمة ابن عبدة التميمى وهو قاعد فى الخيمة وخلفه أم جندب ، فتذاكرا الشعر فقال امرؤ القيس : أنا أشعر منك ، وقال علقمة : بل أنا أشعر منك ، فقال : فقل وأقول ، فتحاكما إلى أم جندب ، فقال امرؤ القيس : " خليلى مرا بى على أم جندب " القصيدة . وقال علقمة : " ذهبت من الهجران فى غير مذهب " حتى فرغ منها ، ففضلته ام جندب على امرئ القيس ، فقال لها : بما فضلته على فقالت فرس ابن عبدة أجود من فرسك ، قال : ولماذا ؟ قالت : سمعتك زجرت وضربت وحركت ، وهو قولك :

فللساق الهوب وللسوط درة .·. وللزجر منه وقع أهوج منعب

وأدرك فرس علقمة ثانيا من عنانه ، وهو قوله :

فأقبل يهوى ثانيا من عنانه .·. يمر كمر الرائح المتحلب

فغضب عليها وطلقها ، فخلف عليها علقمة " وفى هروبه من المنذر والتجائه إلى طيئ دليل على أن هذه البائية قد قيلت بعد مقتل أبيه وخذلان القبائل له فى طلبه بثأره ، كما أننا نجد فى قول أم جندب له : " قم يا خير الفتيان فقد أصبحت " ما يدل على أن هذه القصيدة قد قيلت فى مرحلة شبابه .

فإذا عدت إلى البيت المشابه فى قصيدة ام جندب لبيت المعلقة وجدت أن الشاعر قد ختم البيت فيه بقوله " مخضب " وهو مناسب بذلك لسياق القصيدة ، ذلك أنك تجد الشاعر فى البائية قد خرج عما عرف به من تأنقه فى

رسم صورة فرسه وعنايته به عناية تفضل اهتمامه بقوتها وقدرتها ومراوغتها للطرائد كما هو الحال فى المعلقة - ليتخفف فى تصويره للفرس فى البائية من نظرة الشاعر الملك ويستبدلها بنظرة الواصف الذى قد يحتاج الطريدة ، وهذا يتناسب مع ما آل إليه أمره وقد صار طريدا مخذولا يبحث عن ناصر فلا يجد ، فضلا عن ان هذه القصيدة قد قيلت فى معرض المناظرة بينه وبين علقمة وهو لذلك يظهر فرسه فى صورة تخرجها من نطاق الترف والنعمة إلى نطاق الاجتهاد والكد ليقابل بذلك صورة الفرس فى شعر علقمة حيث يظهره قدرته على وصف مراتع الصيد كما يصفها من تعود خوضها - وإن كان ابن ملوك - ، وحيث تراه يهتم بإظهار مبلغ قوة فرسه وتمرسه الصيد بخلاف ما هو عليه الحال فى المعلقة ، وانظر صورة ذلك فى البائية فى مواضع من القصيدة كقوله :

على الأين جياش كأن سراته ∴ على الضمر والتعداء سرحة مرقب
يبارى الخنوف المستقل زماعه ∴ ترى شخصه كانه عود مشجب

وفى قوله :

ويخطو على صم صلاب كأنها ∴ حجارة غيل وارسات بطحلب

وقوله :

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه ∴ تقول هزيز الريح مرت بأثأب

وقوله :

ويخضد فى الآرى حتى كانما ∴ به عرة من طائف غير معقب
فيوما على سرب نقى جلوده ∴ ويوما على بيدانة أم تولب

أما القافية فقد ختم البيت فيها بقوله : " مفرق " وهذا وإن كان قريب المذاق فى الوصف من قوله : " عصارة حناء بشيب مخضب " إلا انه يدل على ان الدم قد وقع على نحر الفرس بصورة متفرقة لا تشمل كل نحر الفرس بخلاف الحال فى البائية التى أوحى قوله " مخضب " بأن الخضاب قد شمل كل نحر الفرس أو جله ، على أنك تجد فى القافية إشارات كثيرة تدل

على أن هذه القصيدة قد قيلت قبل حجر والد الشاعر ، وذلك لما تجده فيها من حديث عن الملوك ، كما فى قوله :

ورحنـــا كانـــا مـــن جؤاثـــى عشيـــة ∴ نعالـــى النعـــاج بيـــن عدل ومشنق

أضف إلى ذلك ما تجده فى صورة الصائد من تلذذ يذكرنا بذات الصورة فى المعلقة ، ولذلك كان لكلمة " مفرق " دلالة على الاهتمام بالهيئة والصورة أكثر من الاهتمام بالمصيد نفسه .

ومن المتشابه فى شعر امرئ القيس قوله :

وأنـــت إذا استدبرتهوســـد فرجـــه	∴	بضاف فويق الأرض ليس بـأعزل
وأنـــت إذســـتدبر تهوســـد دفرجهـــو	∴	بضـافن فويقـلآر ضليـس بـــأعزلى
فعـــول مفـــاعيلن فعولـــن مفـــاعلن	∴	فعولـــن مفـــاعيلن فعـــول مفـــاعلن
قبض قبض	∴	قبض قبض

وهو شبيه لقوله :

وأنـــت إذا اســـتدبرته ســـد فرجـــه	∴	بضاف فويـق الأرض ليس بـأصهب
وانـــت إذســـتدبر تهوســـد دفرجهـــو	∴	بضـافن فويقـلآر ضليـس بـــأصهب
فعـــول مفـــاعيلن فعولـــن مفـــاعلن	∴	فعولـــن مفـــاعيلن فعـــول مفـــاعلن
قبض قبض	∴	قبض قبض

وإذا نظرنا إلى البيت الأول نجد ذات الصورة المألوفة للشاعر فى المعلقة ، والتى ينطلق الشاعر فيها إلى وصفه للفرس من منظور الأمير المترف الذى يسموا إلى الصفات المثلى فى فرسه ، ولذلك نجده يحرص على وضع مقايس دقيقة لوصف فرسه فى جزء من أعضائه ، ومثال ذلك ما ذكره فى وصف ذيل الفرس فى البيت الذى نحن بصدده الآن حيث نجد الشاعر يصف فى وصف ذلك الفرس فى البيت الذى نحن بصدده الآن حيث نجد الشاعر يصف طول ذيل فرسة بدقة بالغة فيقول : " بضاف فويق الأرض " فلم يقل " فوق " وإنما " فويق " وكذلك كان حاله فى كلمة " أعزل " والأعزل: أن يعزل ذنبه في أحد الجانبين وذلك عادة لا خلقة وهذه صفة معيبة للفرس ،

ولذلك تجد الشاعر ينفيها عن فرسه علي عادتـه فـي دقتـه وتأنقـه فـي وصـف فرسه ، وقد لوحظ في البيت كثرة القبض الواقع فيه ، كما هو موضح سابقا .

فإذا تركت هذا البيت وعدت إلـي بيـت البائيـة – وهـو مـن قصيـدة أم جندب التي سبق الحديث عن أحد أبياتها آنفاً ،وجدت أن وصف الفرس بقولـه: (ليس بأصهب) قد جاء ليهتم بهيئة الفرس كذلك – حيـث أن الصهـب : وهـو بياض الذنب المخلوط بالحمرة مما يعد عيباً في الخيل – إلا أنه جاء في سياق مختلف غلب عليه الاهتمام بقوة الفرس ومهارتها ومراسها بـالصيد أكـثر مـن الاهتمام بصورتها وجمال خلقتها ، وهذا يشير إلي أن الشاعر بدأ يتخفف كمـا ذكرنا في وصفه لفرسه من الاهتمام بالنواحي الجماليـة لصالح الحوانب النفعيـة فيه ، ولعل السبب راجع في ذلك إلي جـو المنـاظرة الواقـع بينـه وبيـن علقمـة والذي فرض عليه الخروج من عباءة الأبهة في الوصف إلي مجارات شـاعر من عرك الصحراء وعركته ، كما أن إحساسه بالذل الذي لحق به بعد ضيـاع ملك ، غير نظرته المترفة المتلذذة إلي الأشياء وحولها إلي نظـرة تبحـث عـن الجـدوي والقيمـة النفعيـة فـي الأشـياء أكـثر مـن بحثهـا عـن مظـاهر الجمـال والحسن ، ولذلك نقول إن قوله : (ليس بأصهب) وإن دل علـي نظـرة جماليـة في شعر الشاعر إلا أنه ورد بصورة أقل وأخف بكثير مما جرؤت عليه العادة عنـد الشـاعر ، وكـان فـي مقابهـا اهتمـام واسـع بالجـانب النفعـي فـي صـورة الفرس.

ومن المتشابه في شعر امرىء القيس قوله :

وقد أغتدي والطير في وكناتها ∴ بمنجرد قيد الأوابد هيكل
وقدأغ تديوططي رفيو كناتها ∴ بمنج ردنقيدل أواب دهيكلي
فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن ∴ فعول مفاعيلن فعول مفاعلن
قبض قبض ∴ قبض قبض قبض

وهو شبيه لقوله :

وقد أغتدي والطير في وكناتها ∴ لغيث من الوسمي رائده خال
وقدأغ تديوططي رفيو كناتها ∴ لغيثن منلوسمي يراىء دهو خالي
فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن ∴ فعولن مفاعيلن فعول مفاعيلن
قبض قبض ∴ قبض

وكذلك لقوله :

وقد أغتدي والطير في وكناتها ∴ وماء الندي يجري على كل مذنب
وقدأغ تديوططي رفيو كناتها ∴ وماءن ندي يجري علي كل لمذنبي
فعولن مفاعيلن فعول مفاعلن ∴ فعول مفاعيلن فعول مفاعلن
قبض قبض ∴ قبض

ويلاحظ أولاً كثرة القبض الواقع في بيت المعلقة ، وهذا يتناسب مع حموة الشباب والاندفاع الجارف نحو ملذات الحياة ، وقد سبقت الإشارة إلي هذا المعني فيما سبق ، فإذا تأملت البيتين المشابهين ، وجدت القبض فيها يقل عما هو عليه في بيت المعلقة ، ذلك أن الهموم التي تعتري نفس الشاعر تجنح به إلي سىء من التأمل والفتور والتأني الذي يقابل قوة الحموة والاندفاع في المعلقة ، وقد تمثل هذا التأمل والفتور والتأني في قلة عدد المرات التي وقع فيها القبض في سياق القصدين اللتين جاء فيهما البيتين المشابهين ، ثم أننا نلاحظ أن التشابه اللفظي قد وقع في الشطر الأول فقط ، أما الشطر الثاني فقد اختلف في كل القصائد الثلاث وفقا للغرض، والسياق الذي جري فيه.

ففي بيت المعلقة جاء حديث الشاعر في الشطر الثاني منصبا علي صفة الفرس ، ووصف الفرس – بحد ذاته – يمثل عند امرىء القيس جانبا من جوانب المتعة والتلذذ ، ولذلك نجده أبدع في وصف فرسه ، حتي صار هذا الشطر مما يضرب به المثل في حسن وصف الخيل ، وعد من فضائل المعاني عند الشاعر ، وقد جاء متصلاً بأبيات كثيرة بعده شغلها الشاعر بوصف فرسه ، ويلاحظ أن وصف الشاعر لفرسه جاء في المعلقة في سياق احتفالي ، ذلك أنه يصور فيها بهجة الصائد وتمتعه بمصيده هو ومن معه من ندماء كانت صورتهم حاضرة في المعلقة حضوراً ملفتاً ، إذا ما قيست بحال وصف الندماء في اللامية الثانية (ألا عم صباحا) حيث تجد البيت المشابه لبيت المعلقة قد ورد في سياق يختلف عما هو عليه الحال في المعلقة ، لأننا نجد الشاعر يورد وصف فرسه بعد حديثه عن الصويحبات اللواتي صرف هواه عنهن خشية الردي ، وهذا يذكر بما سبقت الإشارة إليه أن قصيدة (ألا عم صباحا) قد قيلت بعيد المعلقة ، بعدما طرد الشاعر من كنف أبيه للمرة الثانية بسبب تشبيبه بالنساء ، ولعل ذلك أشاع في نفسه إحساساً عميقاً بالوحدة والميل للعزلة ، وبرغم أنه شبب في هذه القصيدة وذكر الصويحبات إلا أننا وجدناه ينصرف عن ذكرهن خشية الردي وقد مر معنا فيما سبق أن أباه كاد أن يقتله بسبب تشبيبه بالنساء وتعاطيه الشعر ، ولعل هذا ما دفع الشاعر إلي الغدو بفرسه وحيداً ، وخروجه للصيد دون نديم أو صاحب ، وهذا يتناسب مع حاله وقد طرد وأبعد وخلا في القفار بنفسه ، وأنظر ذلك واضحا تمام الوضوح في قوله :

نواعم يتبعن الهوي سبل الردي ∴ يقلن لأهل الحلم ضلا بتضلال
صرفت الهوي عنهن من خشية الردي ∴ ولست بمقلي الخلال ولا قال

فانظر كيف أن هذا الشاعر الذي كان يفاخر في المعلقة بتجشمه المخاطر ليصل إلي صويحباته ، قد انقلب إلي رجل يخشي الردي ويكبح

جماح المغامرة ، برغم أن انصرافه عنهن كان سبباً في تنغيص حياته وتكدير متعته ، وذلك أتبع هذه الأبيات بقوله :

كـــأني لـــم أركـــب جـــوادا للـــذة ∴ ولـــم أتبطـــن كاعبـــاً ذات خلخـــال
ولـم أسـباء الـزق الـروي ولـم أقـل ∴ لخيلـي كـري كـرة بعـد إجفـال
ولـم أشهـد الخيل المغـــيرة بالضحا ∴ علـي هيكل نهد الجـزارة جـوال

ولذلك كان قوله :

وقـد أغتـــدي والطيـر في وكناتـــها ∴ لغيـث مـن الوسمي رائـــده خـــال

نتيجة لما قدمته الأبيات السابقة ، ولذلك تجده يشير إلي مكان غدوه وانه كان مكاناً خالياً لا رائداً فيه ، بل ويزيد علي ذلك بقوله :

تحامـاه أطـــراف الرمـــاح تحاميـا ∴ وجـاد عليـه كل أسحـــم هطـــال

ونستطيع أن نصطفي مما تقدم نتيجة مفادها أن الشاعر قد صاغ قوله :

وقـد اغتـدي والطـــير في وكناتـــها ∴ لغيث من الوســـمي رائـــدة خـال

في سياق مختلف تماماً عما كان عليه الحال في المعلقة ، فبينما قدم الشاعر الشطر الأول من البيت في المعلقة في سياق البهجة التي ينتجها الخروج للصيد وقد أحاط به الأصحاب والندماء مما أشاع في نفسه تلك النشوة المندفعة التي قدمت لنا لوحة مترفة تتمثل فيها الجواري الحسان واللؤلؤ والخرز والحناء وجمال الفرس الأخاذ ، كما سبقت الإشارة ، فإذا عدت إلي سياق البيت المشابه في قصيدة (ألا عم صباحاً) وجدت صورة الشاعر وهو وحيد مترو عن محيط المتعة التي كان يغرق نفسه فيها ، ولذلك تجده يولي الحديث عن مكان الخلوة حظوة تغيب معها صورة الفرس ومظهره الأخاذ وقوته المميزة ، ولهذا أكمل البيت بقوله : (لغيث من الوسمي رائده خال) ، لأن انشغاله بالمكان الذي يراجع فيه نفسه ويكاشف همومها فيه أهم عنده – والحال كما ذكرنا – من صفة الفرس التي لا تعدو أن تكون عنده متعة من المتع التي تتراح عن خاطره متي حاصرته الهموم ، وقد أكد هذا أنه

لم يعد إلي وصف الفرس في البيت التالي ، بل حرص علي التأكيد علي صفة ذلك المكان الذي اختلي فيه فقال :

تحاماه أطـــــراف الرمـــــاح تحاميا ∴ وجاد عليه كل أسحـــــم هطـــــال

ثم عاد إلي وصف الفرس بعد أن حدد صفة المكان :

فإذا نظرت إلي البيت الثالث من البائية ، وهو قوله :

وقد أغتدي والطـــير في وكناتـــها ∴ وماء الندي يجري علي كل مذنب

وجدته في الشطر الثاني يهتم بالزمن ويهمل المكان الذي كان شـاغل الشاعر في قصيدة (ألا عم صباحاً) ، ثم إنك تجد قوله : (وماء الندي يجري علي كل مذنب) جاء كجملة حالية معترضة فصل بها الشاعر بين قوله : (وقد أغتدي والطير في وكناتها) وقوله في البيت الذي يليه : (بمنجرد قيـد الأوابد لاحه) ، وقد ذكر ابن جني أن الاعتراض " في شعر العرب ومنثورها كثير وحسن ودال علي فصاحة المتكلم وقوة نفسه وامتداد نفسـه " ، وكـأن الشـاعر عندما وقف ليثبت الزمن الذي خرج فيه بذلك الفرس وهو وقت الغلس من الليل ، وهو يقصد إلي إثبات وقت الغدو ، ليدل بذلك علي قوة نفسه وجلده ، لاسيما وهو في موقع المناظرة مع علقمة الفحل ، فضلاً عن أن التبكير للصيد غب المطـر مـم يستحسـن ويستعمل ، فكـأن اهتمـام الشـاعر فـي البائيـة كـان منصباً علي رسم صورته هو من خلال كل ما يصف ولذلك اهتم بقوة فرسه أكثر من اهتمامه بجماله بخلاف مـا جرت العادة عليه فـي المعلقـة ، ولذلـك أيضاً وجدنا الحديث عن الندماء والأصحاب جاء في البائية علـي استحياء إذا ما قيس بحال المعلقة ، فالشاعر في المعلقـة كـان أميرا وابـن ملـك ، أمـا فـي البائية فهو رجل موتور طالب ثأر مخذول ممن حوله ، ولذلك تجده ينصـرف عن الوصف الباحث عن المتعة متجهاً صوب الوصف النفعي المرتبط بالحيـاة الجادة التي يعتمد فيها المرء علي نفسه وقوته في كل ما هو حولـه مـن فـرس أو ناقة أو غير ذلك .

وخلاصة القول أنك تجد الشطر الأول من البيت وهو قوله : (وقد أغتدي والطير في وكناتها) قد جاء في المعلقة في سياق الجو الاحتفالي الذي ترى الشاعر فيه منتشياً غارقاً في ملذاته بين أصحابه وندمائه ، وبذلك تكون لفظة (الغدو) – مع التبكير – قد التبت بسياق هذا المعني ومازجته ، فالتعجيل بالغدو كان بحثاً عن المتعة واللذة الحاصلة من الصيد بحضور الندماء والأصحاب ، ولا زيادة علي ذلك ، بينما تجد الأمر يختلف في قصيدة (ألا عم صباحاً) حيث ورد ذات الشطر الأول : (وقد أغتدي والطير في وكناتها) في سياق الانصراف عن الصويحبات، والخوف من الردي ، والمتعة المضيعة المهدرة ، ولذلك كان التبكير في الغدو هروباً من المتعة لا إليها وبحثاً عن الوحدة ، والاختلاء بالنفس ومجالدة الهموم ، فكأن بيت المعلقة جاء في سياق الإقبال علي الحياة بينما جاء بيت اللامية في سياق الهروب منها ، فإذا تركت هذا وعجت إلي البيت المشابه في البائية ، وجدت حرص الشاعر علي التبكير في الغدو قد جاء في سياق آخر يخرج فيه الشاعر مبكرا بغرض إظهار قوة نفسه وقدرته علي مجالدة الحياة الخشنة التي انقلب حاله إليها ، وكأنه بذلك يشير إلي أنه وإن كان ملكاً وابن ملك – إلا أنه قادر علي أن يقوم بنفسه لهذه الحياة ، ويجالدها ويكون أحد فرسان تلك الصحراء التي ساقت إلي مناظرته شاعراً كعلقمة الفحل أحد فرسانها الأشداد . فانظر كيف تلون الشطر الأول من البيت وتشكل في كل قصيدة وفق سياقها وسلك نفسه في مسالكها ودروبها.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الخاتمـــة

ونخلص من هذه الدراسة إلي أن كل المتشابه الواقع في شعر امـرىء القيس قد جاء من بحر الطويل ولعل السبب في ذلك يرجع إلي أن متشابه هـذا الشاعر يدور حول قصيدته المعلقة وهي من بحر الطويل كما هو معلوم.

وقد لوحظ من خلال دراسة المشتابه في شعر امرىء القيس مما جـاء من بحر الطويل كثرة وقوع (القبض) في قصائد التي نظمهـا فـي شـبابه قبيـل وفاة أبيه ، وقلته فيما نظم بعد ذلك من قصائد قيلت بعد ذلك حتـي وقـت وفـاة الشاعر .

وقد لوحظ من دراسة المتشابه في شعر امرىء القيس أن كل مـا ورد من أبيات أو مقاطع متشابهه في شعره كـانت تحمـل خصوصيـة تميزهـا عـن شبيهها في أي موقع آخر من الديـوان ، وقـد دل التحليـل لهـذه الشـواهد علـي الفوارق الجلية التي يفرضها السياق عليهـا حتـي تصطبـغ بلونـه وتجـري فـي مجراه.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁

(١) موائد الحيس في فوائد امرىء القيس ص١٢٩-١٣٠.

(٢) خزانة الأدب ج٣/٢٢٦ .

(٣) شرح أبيات المغني ج٣/٨١.

(٤) خزانة الأدب ج١/٣٣٣.

(٥) انظر تحرير التحبير ص ١٦٩.

(٦) القبض مأخوذ من الأخذ ، وهو حذف الخامس الساكن . نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب ص١٢٢.

(٧) شرح أبيات المغني ج٣/٨١.

(٨) الشعر والشعراء ج١/١٠٧.

(٩) الديوان ص ١٩٤.

(١٠) المصدر السابق.

(١١)اللسان (عطل).

(١٢) الحكاية في تشبيهات الجاهليين / محمد عبد الله بدري.

(١٣) اللسان (رجل).

(١٤) الديوان ص٤٠.

(١٥) أدب الكاتب ص١٠٢.

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) الخصائص لابن جني ج١ ص ٣٤١.

(١٨) انظر الديوان ص٤٦.

أهـــم المصـــادر والمراجـــع

١ أدب الكاتب / لأبي محمد عبد الله بن قتيبة / تحقيق : محي الدين عبد الحميد / الطبعة الرابعة / ١٩٦٣م / المكتبة التجارية الكبري.

٢ تحرير التحبير في صناعة الشعر وبيان إعجاز القرآن / لأبن أبى الإصبع المصري / تحقيق :د. حفني محمد شرف / المجلس الأعلي للشئون الإسلامية / ١٩٩٥م.

٣ خزانة الأدب ولباب لسان العرب / تأليف : عبد القادر بن عمر البغدادي / تحقيق وشرح :عبد السلام محمد هارون / الطبعة الثانية ١٩٨٩م مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٤ الحكاية في تشبيهات الجاهليين – رسالة ماجستير / محمد عبد الله بدري / إشراف د: دخيل الله الصحفي / جامعة أم القري /١٤٢٣هـ.

٥ الخصائص / صنعة : أبي الفتح عثمان بن جني / تحقيق : محمد علي النجار / دار الكتب العربي .

٦ ديوان امرىء القيس / تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / الطبعة الخامسة / دار المعارف.

٧ شرح أبيات مغني اللبيب / صنفه : عبد القادر بن عمر البغدادي / تحقيق : عبد العزيز رباح – أحمد يوسف دقاق / الطبعة الأولي ١٩٧٨م / دار المأمون للتراث.

٨ الشعر والشعراء / لابن قتيبة / تحقيق : أحمد محمد شاكر / الطبعة

الأولي / ١٩٩٦م / دار الحديث القاهرة.

٩ معجم لسن العرب / لابن منظور / الطبعة الثانية / دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي / بيروت.

١٠ موائد الحيس في فوائد امرئ القيس / لنجم الدين سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري / تحقيق ودراسة : د. مصطفي عليان / الطبعة الأولي / ١٤١٤هـ ١٩٩٤م / دار البشير الأردن.

١١ نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب / تأليف : جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي الشافعي / تحقيق :د. شعبان صلاح / الطبعة الأولي / ١٩٨٨م.